أسباب الائتلاف في القرآن وآثاره

الباحث/ سليم سعيد سليم الجنيبي
باحث ماجستير بكلية دراسات القرآن والسنة
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، نيلاي، ماليزيا
Universiti Sains Islam Malaysia
إشراف: دكتور/ عبد المهيمن بن أحمد، دكتور/ عبد الله صالح

الملخص:
إن من أهم القضايا التي يجب أن تطرح وتناقش في أوساط المجتمعات الإسلامية؛ تمزُّق الأمة وضعفها في زمننا هذا بعد ما كانت أمة شامخة بتعاليم دينها، وكيان اجتماعي يضرب فيه المثل للوحدة والترابط الاجتماعي بين أفراده، فإن وضع الأمة في الآونة الأخيرة يوجب علينا البحث عن الأسباب التي قد أدت إلى هذا النزاع وسد ذرائعه، ولهذا فإن هذه الرسالة تهدف إلى معرفة الأسباب التي تؤدي إلى الاجتماع والتآلف والتي تحتاج منا أن نقف معها وقفة قرآنية، وذلك معنى الائتلاف، ومعرفة الفرق بين الائتلاف والتودد والاجتماع والاتفاق، ومعرفة أسباب الائتلاف التي ذكرت في القرآن، والآثار المترتبة على الائتلاف، على أن يقوم هذا البحث على منهج استقراء وتحليل النصوص التي تم الحصول عليها من القرآن الكريم والكتب والرسائل الجامعية والمجلات البحثية الرئيسية لتكون مرجعاً في جمع البيانات اللازمة حول الموضوع، وقد توصلت هذه الرسالة إلى النتائج المرجوة منها وعلى سبيل المثال: أن القرآن عالج كثير من القضايا التي أضرت بالأمة الإسلامية، ومنها: أنه بين الأسباب الداعية للائتلاف والاجتماع مثل: عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، والتحاكم إلى الله ورسوله عند الاختلاف، وعدم التحاكم لغيرهما، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والتبيَّن والتثبت من الأخبار عند تلقيها أو نقلها، والإصلاح بين الناس، والعفو والصفح عن المخطئ، كما بين القرآن الآثار المترتبة على الائتلاف ومنها: انتشار المحبة والمودة بينهم، وقوة الأمة الإسلامية ونصرها وتمكنها.
الكلمات المفتاحية: الائتلاف، الاجتماع، والترابط الاجتماعي، تمزق الأمة، التفسير الموضوعي.

Abstrak:

Salah satu isu penting yang perlu dibincangkan dalam masyarakat Islam adalah perpecahan umat dan kelemahannya pada zaman ini, selepas menjadi sebuah umat yang kuat dengan ajaran agamanya dan sebagai entiti sosial yang mencerminkan perpaduan dan solidariti di antara mereka. Keadaan umat dalam tempoh ini memerlukan kita untuk mencari punca yang telah menyebabkan konflik ini dan mencari penyelesaiannya. Oleh itu, kajian ini bertujuan untuk memahami faktor yang membawa kepada penyatuan dan perpaduan yang perlu kita selami dalam konteks kajian al-Quran, iaitu makna al-i'tilaf (perpaduan), perbezaan antara al-i'tilaf, al-tawaddud (kasih sayang), al-ijtima' (penyatuan), dan al-ittifaq (persetujuan), serta punca-punca al-i'tilaf yang disebutkan dalam al-Quran serta kesan-kesan yang timbul daripadanya. Kajian ini akan menggunakan kaedah analisis dan interpretasi teks yang diperoleh dari al-Quran, buku-buku, tesis, dan jurnal penyelidikan utama sebagai sumber data utama tentang topik ini. Antara dapatan penting kajian ini ialah: al-Quran telah membincangkan banyak isu yang telah merugikan umat Islam, seperti menjelaskan faktor-faktor yang membawa kepada kesatuan seperti tauhid (keesaan kepada Allah SWT), mengikut Rasulullah SAW, menyelesaikan perbezaan melalui prinsip Islam sebagaimana yang dianjurkan oleh Allah SWT dan Rasul-Nya, tidak merujuk kepada selain keduanya, berdakwah dengan bijak dan nasihat yang baik, memeriksa dan menilai maklumat sebelum diterima atau disebarkan, membaiki hubungan antara manusia, memaafkan kesalahan, dan sebagainya. Al-Quran juga menjelaskan kesan-kesan positif daripada al-ittilaf, seperti penyebaran kasih sayang di kalangan umat, kekuatan dan kemenangan umat Islam.

Kata kunci: perpaduan, penyatuan, solidariti masyarakat, perpecahan umat, tafsir tematik.

المقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمعنى الائتلاف، والتفريق بين الائتلاف والتودد والاجتماع، وبيان أسباب الائتلاف التي ذكرت في القرآن الكريم، ومن ثم بيان الآثار المترتبة على الائتلاف.

مشكلة البحث:

لا يخفى على عاقل أن قضية تفرق الأمة وكيفية جمعها؛ من المشكلات العظيمة والمعضلات الجسيمة التي تفتك بالمجتمعات وتشتتها الاختلافات والتفرقات التي لا علاقة لها بالإسلام، بل إن الإسلام ينهى عن ذلك ويحذر من ذلك كثيراً وبأنواع وأساليب كثيرة، وبيّن طرق الوقاية منها وسبل علاجها، فمن تأمَّل القرآن الكريم وجد ذلك حق اليقين. ومن نظر في حال المسلمين الآن وجد فيه كثرة الأحزاب والفرق، وبين هذه الفرق والأحزاب خلافات لا يمكن وصفها وإحصائها، وما ذلك الاختلاف والتفرق إلا لأسباب علمها من علمها وجهلها من جهلها، ومن أعظم هذه الأسباب بعدهم عن القرآن الكريم سواء من جهة القراءة، أم من جهة فهمه وتدبره، وقد عالج الله سبحانه وتعالى قضية الاختلاف والتفرق في كتابه وفي مواضع عدة. فتبين أن قضية تفرق المجتمعات ترجع لأسباب تحتاج منا أن نقف معها وقفة متأمل، فمعرفة أسباب الائتلاف تساعد على خفض وتيرة الاختلاف وزيادة وتيرة الاجتماع والتآلف، ولهذا فإننا في هذا البحث نسعى للتعرض لهذه المشكلة وبيان ما يكون سبباً في علاجها.

أهمية البحث

تتمثل أهمية الدراسة في أن القرآن ناقش الأسباب الداعية إلى الائتلاف وبيّن الآثار المترتبة عليه.

أهداف البحث:

١. معرفة معنى الائتلاف، ومعرفة الفرق بين الائتلاف، والتودد، والاجتماع، والاتفاق.
٢. معرفة أسباب الائتلاف التي ذكرت في القرآن.
٣. معرفة الآثار المترتبة على الائتلاف.

أسئلة البحث:

١. ما تعريف الائتلاف في القرآن، وما الفرق بين الائتلاف، والتودد، والاجتماع، والاتفاق.
٢. ما أسباب الائتلاف في القرآن، وما الآثار المترتبة على الائتلاف.

المبحث الأول: تعريف الائتلاف والاختلاف لغة واصطلاحاً وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الائتلاف لغةً واصطلاحاً.

الائتلاف لغةً: من مادة (ألف) قال ابن فارس: الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضًا[1].

قال الخليل: والأُلْفَةُ: مصدر الائتلاف، وكل شيء ضمَمْتَ بَعضَه إلى بعض فقد ألَّفْته تأليفاً[2].

وقال أبو زيد: ألفت الشيء وألفت فلانا إذا أنست به، وألفت بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض؛ ومنه تأليف الكتب[3].

وقال الراغب الأصفهاني: اجتماع مع التئام، يقال: أَلَّفْتُ بينهم، ومنه: الأُلْفَة ويقال للمألوف: إِلْفٌ وأَليفٌ. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠]، وقال: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

الائتلاف اصطلاحًا: لم أقف – فيما بين يدي من المصادر – على من صرح تصريحاً واضحاً لمعنى الائتلاف اصطلاحاً كما يتم تعريف المصطلحات الشرعية الأخرى كالطهارة والصلاة، والسبب – في ظني – أن الائتلاف معنى يجده كل إنسان في نفسه كمعنى الحب والخوف فهي معاني نفهمها بمجرد سماعها، ولا نحتاج إلى تعريفها.

ولكن إذا أردنا أن نعرفه في الاصطلاح الشرعي فإن أصل المعنى الشرعي لا يبعد عن معناه في لغة العرب، ولكنه على صفة مخصوصه وهو: اجتماع المسلمين وانضمام بعضهم إلى بعض وترك ما يؤدي إلى الفرقة بينهم.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران: ١٠٣].

---

١ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩-١٩٧٩. ج. ١. ص. ١٣١.

٢ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ). ١٩٨٥. العين. المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال. ج. ٨. ص. ٣٣٦.

٣ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). ١٤١٤. الطبعة: الثالثة. لسان العرب. بيروت: الناشر: دار صادر. ج. ٩. ص. ١٠.

قال القرطبيّ في تفسيره لهذه الآية: إنّ الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة لأنّ الفرقة هلكة والجماعة نجاة.

وقال ابن كثير– رحمه الله–: أمرهم الله– عزّ وجلّ– في الآية الكريمة بالجماعة ونهاهم عن الفرقة.

المبحث الثاني: التفريق بين الائتلاف والتودد والاجتماع والاتفاق وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الفرق بين الائتلاف والتودد.

الائتلاف لغةً واصطلاحًا: تقدم بيانه.

التودد لغةً: من مادة (ودد)، وتوددته: اجتلب وده. وتودد إليه: تحبب. والتواد: التحاب، تفاعل من الوداد، وقع فيه إدغام المثلين، وهما يتوادان أي يتحابان[1].

التودد اصطلاحًا: التودد في الاصطلاح هو: طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك[2]. وقال الراغب: الودّ: محبّة الشيء، وتمنّي كونه[3].

من خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن ثمة فرق بين الائتلاف والتودد وهو:

أن المودة قد تأتي بمعنى التّمنّي كما في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] بخلاف الائتلاف الذي بمعنى الاجتماع[4].

المطلب الثاني: الفرق بين الائتلاف والاجتماع.

الاجتماع لغةً: مصدر اجتمع، واجتمع ضد تفرق، والمعنى: التقاء[5]، فالاجتماع هو: تقارب أجسام بعضها من بعض[6].

الاجتماع اصطلاحًا: هو: نفس الاعتصام، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع، وبه نتحد[7].

يظهر لنا أن من التعاريف أن الائتلاف والاجتماع يتقاربان في المعنى، ولكن هناك ثمة فرق وهو: أن الائتلاف سبب للاجتماع، فإذا حصلت الألفة حصل الاجتماع، لأن الائتلاف مرتبة تسبق الاجتماع[8].

---

١ انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. ج. ٩. ص. ٢٨٤.

٢ انظر: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). ١٤٠٣-١٩٨٣. التعريفات. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. ص. ٧١.

٣ انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢م). ١٤١٢. المفردات في غريب القرآن. ص. ٨٦٠.

٤ انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢م). ١٤١٢. المفردات في غريب القرآن. ص. ٨٦٠.

٥ انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. ج. ٢٠. ص. ٤٦٦.

٦ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). ١٤٠٣-١٩٨٣. التعريفات. ص. ١٠.

٧ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج. ٤. ص. ١٧.

٨ حازم خنفر. غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة. قدم له: علي بن حسن الحلبي. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع – ١٤٣٠-٢٠٠٩. ص. ٣٥. بتصرف.

المطلب الثالث: الفرق بين الائتلاف والاتفاق.

الاتفاق لغةً: من مادة وفق، الوِفْقُ: المطابقة بين الشّيئين.. يقال: وَافَقْتُ فلاناً، ووَافَقْتُ الأمرَ: صادفته، والِاتِّفَاقُ: مطابقة فعل الإنسان القدر، ويقال ذلك في الخير والشّر[1].

فالاتفاق لغةً هو: كون الشيئين متفقين في اللفظ والمعنى[2].

الاتفاق اصطلاحًا: هو: الاشتراك إما في الاعتقاد أو القول أو الفعل أو إذا أطبق بعضهم على الاعتقاد وبعضهم على القول أو الفعل الدالين على الاعتقاد[3].

لم أقف – فيما بين يدي من مصادر ومراجع – على من فرق بين الائتلاف – بهذا اللفظ – والاتفاق، والأغلب يجعل الاتفاق في مقابل الاجتماع في حال التفريق بينهما.

ولكن يمكن من خلال التعاريف اللغوية أن نفرق بين الائتلاف والاتفاق؛ بأن الاتفاق يكون في اللفظ والرأي، بخلاف الائتلاف الذي هو أمر قلبي.

المبحث الثالث: أسباب الائتلاف في القرآن وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التوحيد وطاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما.

إن من الأسباب العظيمة التي تؤدي إلى اجتماع المسلمين وتآلفهم؛ توحيد الله تبارك وتعالى والتحاكم إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم عند التنازع والاختلاف، فالله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً وسدىً وإنما خلقهم لغاية عظيمة وهي عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب[4]، بل إن السماوات والأرض لم يقوما إلا لأجل التوحيد ولأجله أنزل الله كتبه، وأرسل رسله مبلغين، وشرع لأجله الشرائع، قال ابن القيم –رحمه الله–: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه...[5].

فإنه لو كان في هذا الخلق خالق وآلهة أخرى مع الله لم يخل أمرهما من اختلاف كما قال ربنا جل وعز: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا

---

١ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ). ١٤١٢. المفردات في غريب القرآن. ص. ٨٧٧.

٢ محمد بن عبد الرحمن الخميس. ١٤٢٥-٢٠٠٤. شرح الرسالة التدمرية. الناشر: دار أطلس الخضراء. ص. ١١٥.

٣ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ). ١٤١٨-١٩٩٧. المحصول. دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني. الطبعة: الثالثة. الناشر: مؤسسة الرسالة. ج. ٤. ص. ٢٠.

٤ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). ١٤٢٠-١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ج. ٧. ص. ٤٢٥.

٥ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). ١٤١٥-١٩٩٤. زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة: السابعة والعشرون. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. ج. ١. ص. ٣٦.

يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] لأن أحدهما إذا أحدث شيئا وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله، وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة، ولأن الشركاء يتزاحمون ويتفاوتون بأهوائهم وإراداتهم كما قال﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1] [المؤمنون: ٩١] فلو كان لله شريك في الخلق والعبادة كما يزعمون لفسد التدبير ولتفرق الخلق وصار الخلق فرق وجماعات كل فرقة تعبد إلهها[2].

ومن هنا فإن أول سبب من أسباب الائتلاف والاجتماع، هو عبادة الله تبارك وتعالى وحده، لأن الخلق إذا اجتمعوا على عبادة إله واحد لا شريك له اجتمعت قلوبهم وأبدانهم، وذلك لأن الاجتماع على شيء واحد يؤدي إلى الاجتماع والتآلف.

فالخالق لهذا الخلق هو المستحق للعبادة، وعبادة الله سبحانه وتعالى هي التذلل له حباً وتعظيماً بإقامة شرائعه على مراده، وشرع الله مبني على أحكام تناسب هذا الخلق تمام المناسبة، لأنه هو أعلم بما يصلح لهذا الخلق وما يفسده، وما ينفعه وما يضره، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى عباده في حال حصول التنازع والاختلاف بأن يرد ويرجع لحكمه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى: ١٠] وبالرجوع إلى حكم رسوله صلى الله عليه وسلم لأن حكم الرسول هو حكم الله كما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠] ويقول الله عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] فتأمل هذه الآية لم يقل: ردوه إلى الرأي الفلاني أو النظرية الفلانية أو ما أشبه ذلك، بل لا مرد إلا إلى الله ورسوله، إلى الله إلى كتابه وإلى رسوله إلى سنته صلى الله عليه وسلم[3]، وكذلك فإن المتأمل في الآية يجد بأنها وضعت للمسلمين الحل الأنسب والطريقة المثلى إذا طرأ عليهم ما يدعو إلى التنازع والاختلاف في جميع شؤونهم، وقطعت دابر التنازع والاختلاف، ليعود المسلمون إلى الاتفاق والائتلاف، وهو التحاكم إلى الله ورسوله، لأن أهل الإيمان الصحيح يدعوهم إيمانهم على تقديم حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على أي حكم سواهما كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ

---

١ محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ). الأمثال من الكتاب والسنة. المحقق: د. السيد الجميلي. الناشر: دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت – دمشق. ص. ٣٦.

٢ انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). ١٣٨٤-١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن. ج. ١١. ص. ٢٧٩. بتصرف شديد.

٣ انظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). فتاوى نور على الدرب. (٤/ ٢) بتصرف.

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] لأن أي حكم سوى حكم الله فهو حكم الجاهلية[1] كما قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وبذلك يهتدي المسلمون إلى حل واحد يرضاه الجميع، ويلتزم طاعته الجميع، ومادام المرجع فيه هو الله ورسوله فلا غالب ولا مغلوب، ولا منتصر ولا منهزم، وإنما تكون كلمة الله وحدها هي العليا[2].

قال ابن عثيمين – رحمه الله – : واعلم أنَّ الناس لو جعلوا التحاكم إلى الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وحكَّموا الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم في كل شيءٍ لصلحت أحوالهم، ولكنها تفسد بمقدار ما أبعدوا عن الدين، فيظنون أن هذا الفساد بسبب تمسكهم بما تمسكوا به من الدين، فَيُوغِلُون في الإعراض عن دين الله، وعن التحاكم إلى الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا هو الواقع، يظنون أن ما أصابهم من الخلل الاقتصادي، والمادي، والتخلف المعنوي، والعسكري، بسبب ما هم عليه من أحكام الشريعة، والحقيقة أنه بسبب ما قاموا به من مخالفة الشريعة، ولو أنهم وافقوا الشريعة، لكانت هذه شريعة الله العادلة القاهرة الغالبة...ولما حصل ما حصل من مخالفة الشريعة تفرَّقت الأمة، وتنازعت، وصار بأسها بينها، وتغلَّب عليها أعداؤها[3].

فإذا أراد المسلمون الاجتماع والتآلف فيما بينهم فعليهم بالرجوع إلى أحكام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عند حصول الاختلاف والتنازع في جميع القضايا الدينية والدنيوية.

المطلب الثاني: الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والتبين، والتثبت.

إن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول الإسلام، وتكمن عظمته في أن صلاح العباد في معاشهم ومعادهم وعبادتهم متوقف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

فلما كان هذا الأصل بهذه المنزلة العظيمة من الدين، ولما تساهل أكثر الناس به في هذا الزمن، فأضاعه كثير منهم، حصل التفرق والاختلاف بين المسلمين ولابد، فإذا توقف الدعاة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أطلق عنان الأهواء والشبهات

---

١ انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). ١٤٢٠-١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ج. ٣. ص. ١٣١.

٢ انظر: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ). ١٤٠٥-١٩٨٥. التيسير في أحاديث التفسير. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان. ج.١. ص. ٣٤٨.

٣ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). ١٤٢٢-١٤٢٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع. الطبعة: الأولى. دار النشر: دار ابن الجوزي. ج. ١٤. ص. ١١٤ – ١١٥.

والشهوات، فعندئذ يحصل الاختلاف في العقائد، والسلوك والأخلاق، فيحصل بذلك التفرق في الأبدان.

ومن هنا يتبين لنا أن الدعوة إلى الله من أعظم أسباب الائتلاف والاجتماع، ولكن على الداعي أن يراعي في دعوته إلى الله أمراً مهم وهو الحكمة في الدعوة وهذا ما يفتقده كثير من الدعاة في زماننا، لأنه لو كان تصرف الداعي بعيداً عن الحكمة لم تؤت الدعوة ثمارها، وقد ينفر المدعو أو يزداد نفوراً.

ولما كانت الدعوة بالحكمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم وأهم الأمور التى يحصل بها الاجتماع والتآلف أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله علي وسلم بها فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: ١٢٥].

والدعوة بالحكمة تكون بعدة أمور كما قال ابن سعدي: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة: أي كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة، الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به[1].

لكن لا يُفهم من الحكمة في الدعوة أنها تعني الرفق، والحلم مع المدعو فحسب، بل للحكمة أحوال بحسب الداعي والمدعو ولهذا ينبغي مراعاة بعض الأمور التي توافق الحكمة وهي كما عرفها ابن القيم رحمه الله حيث قال: فالحكمة إذاً فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[2].

فمن الحكمة أن يكون الداعى رفيقاً بالمدعوين هيناً ليناً معهم في القول كما وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

١ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠-٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٤٥٢.

٢ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). ١٤١٦-١٩٩٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الطبعة: الثالثة. الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت. ج. ٢. ص. ٤٤٩.

وكما أمر الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام فقال: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ [طه: ٤٢-٤٤].

فالرفق واللين في القول مع المخالف لا شك أنه من أسباب الائتلاف والاجتماع، لأنه أدعى لقبول الحجة وعدم نفوره عن الحق.

ومن الحكمة أحياناً استخدام الشدة والتأنيب، وذلك أن الدعوة تكون بين الرفق والترغيب أحياناً وبين الترهيب والشدة وذلك بحسب حال المخالف فمن المخالفين من ينفع معه الرفق واللين ومنهم من ينفع معه الشدة والغلظة، ولهذا بين الله تعالى للداعي أنه في حال لم ينف اللين والشدة الانتقال إلى الشدة والموعظة الحسنة، ويدل على هذا أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالتغليظ على المخالفين له واتخاذ الشدة معهم كما قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ [التحريم: ٩].

قال ابن باز رحمه الله: فإذا كان هناك ما يوجب الموعظة وعظ وذكر بالآيات الزواجر، والأحاديث التي فيها الترغيب والترهيب، حتى ينتبه المدعو ويرق قلبه، وينقاد للحق، فالمقام قد يحتاج فيه المدعو إلى موعظة وترغيب وترهيب على حسب حاله، وقد يكون مستعدا لقبول الحق، فعند أقل تنبيه يقبل الحق، وتكفيه الحكمة، وقد يكون عنده بعض التمنع وبعض الإعراض فيحتاج إلى موعظة وإلى توجيه، وإلى ذكر آيات الزجر والترغيب، وأحاديث الزجر والترغيب والترهيب حتى يلين قلبه، ويقبل الحق[1].

ومن الحكمة في الدعوة كذلك التبين والتثبت من الأخبار، لأنه قد يكون الخبر غير صحيح أو لم ينقل بالصورة الصحيحة أو قد يفهم بطريقة خاطئة، ولهذا فإن بسبب عدم التثبت من الأخبار ؛ كم تفرق الأخوة والأصحاب والأهل والأولاد، وكم ثارت العداوات وورَّثت ضغائن طال أمدها، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين بالتبين والتثبت من الأخبار فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾ [الحجرات: ٦] قال ابن سعدي: من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال،

---

١ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر. ج. ٣. ص. ١٠٨.

بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به[1].

ولا شك أن الحكمة رزق من الله يؤتيها من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال السعدي: إن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرا كثيرا، وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين، والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهذا الفضل، وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية، فتكميل قوته العلمية: بمعرفة الحق، ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية: بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك.

المطلب الثالث: الإصلاح بين الناس وحسن الظن والعفو والصفح

من أسباب الائتلاف الظاهرة التي بينها الله تعالى في كتابه هي الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال: ١]

فإذا نزغ الشيطان بين مسلمَيْن، وأدى ذلك إلى نزاع بينهما، وخصومة تجر إلى هجر، وقطيعة، ثمَّ سعى طرف ثالث بينهما بالصلح، واختلق لذلك كلامًا حسنًا على لسان أحدهما يقوله في الآخر، يثني عليه، ويتمنى زوال أسباب الخلاف بينهما، فإنّ من شأن ذلك أن يزيل ما علق في نفس كلّ منهما نحو الآخر من كراهية، ويجعله يعيد النظر في موقفه من الآخر، فإذا التقيا تعاتبا، وإذا تعاتبا تصافيا[2].

ولهذا رتب الله الأجر الكبير والثواب العظيم على الإصلاح بين الناس وجعله علامة على الخيرية فقال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤].

---

١ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٨٠٠.

٢ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. ١٤٢٢-٢٠٠٢. المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس. الطبعة: السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤). الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ص. ٢٩٨-٢٩٩.

وذلك لما في الإصلاح بين المتخاصمين والمتهاجرين من تأليف القلوب، وجمع الكلمة، ونبذ الفرقة والشقاق.

قال الطبري: هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به[1].

قال السعدي: والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتباغض يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾ [الحجرات: ٩] وقال تعالى: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ ﴾ [النساء: ١٢٨] والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله[2].

ويدل على هذا حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: ((إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة))[3].

وتتأكد أهمية الإصلاح إذا كانت بين من تجمعهم الأخوة الإيمانية ولهذا أمر الله تعالى بالإصلاح بينهم فقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠].

ومما يدل على أهمية الإصلاح بين الناس لتحقيق الائتلاف بين المسلمين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يبح الكذب إلا في ثلاث مواضع، منها الإصلاح بين الناس،

---

١ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ٩. ص. ٢٠٢.

٢ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠–٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٢٠٢.

٣ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ج.٤ ص. ٢٨٠. برقم (٤٩١٩) / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). ١٣٩٥–١٩٧٥. سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). الطبعة: الثانية. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. ج. ٤. ص. ٦٦٣. برقم (٢٥٠٩). / وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). ١٤٢١–٢٠٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل. المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة: الأولى. الناشر: مؤسسة الرسالة. ج. ٤٥. ص. ٥٠٠. برقم (٢٧٥٠٨) / وصححه أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). صحيح الجامع الصغير وزياداته. الناشر: المكتب الإسلامي. ج. ١. ص. ٥٠٦. برقم (٢٥٩٥).

عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن، أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة، أخبرته: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا))[1].

ومن أسباب الائتلاف والاجتماع التي ذكرها الله تعالى في كتابه العفو والصفح عن المخطئ، وذلك أن المخطئ المقر بالخطأ إذا لقي من المخطئ في حقه العفو والصفح كان أجمع للقلوب وأبعد عن التفرق والشتات، ولنا في قصة أبوبكر الصديق مع مسطح عبره، والتي كانت سبباً في نزول قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح ابن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما أنزل الله براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحدُّ على مَن أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو مِسْطَح بن أثاثة، فإنَّه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحدَّ عليها. وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنَّا نحبُّ -يا ربنا -أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته[2].

ومن العجيب الغريب أن الناس انعكست عندهم المفاهيم، وانقلبت لديهم الموازين! فأصبح الذي يعفو عن الناس، ويتجاوز عن إساءتهم يوصف بكونه ضعيفاً وجباناً، وبكونه لا يستطيع الانتقام لنفسه، حتى ربما وصفوه بكونه امرأة وهو رجل، وهذا كله مما حرمه

---

١ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ١٤٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ج. ٣. ص. ١٨٣. برقم (٢٦٩٢). / ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ج. ٤. ص. ٢٠١١. برقم (٢٦٠٥).

٢ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). ١٤٢٠-١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ج. ٦. ص. ٣١.

الله عز وجل لأنه يفضي إلى تزهيد الناس في العفو والصفح الذي يوجب أُلفة القلوب واتحاد الكلمة، والله تبارك وتعالى ندب عباده إلى العفو، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] أي: يحب من كان بهذه الصفة من العفو عن الناس[1].

ولهذا كان من اتصف بصفة العفو عن الناس كان من المتقين المحسنين كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤]

وما استحقوا هذا الجزاء والثواب العظيم إلا لعظم صفة العفو والصفح وهو: ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلَّى بالأخلاق الجميلة، وتخلَّى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشرِّ عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] [الشورى: ٤٠].

فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ القمة، والدرجة العالية في العفو والصفح، كما هو شأنه في كلِّ خُلُقٍ من الأخلاق الكريمة، فكان عفوه يشمل الأعداء فضلًا عمن تجمعه بهم أخوة الإيمان، فكان أجمل الناس صفحًا، يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم، أو تعنيفهم، أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم كأنما لم يلقَ منهم شيئًا.

فعندما كان في مكة كان يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقروناً بغضب أو كبر أو تذمر من المواقف المؤلمة، وكان كما أمره الله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥ – ٨٦] وقال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٩].

---

١ محمد بن محمد المختار الشنقيطي. تفسير سورة النور. محاضرة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. (٦/ ٧).

٢ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠-٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ١٤٨.

وحتى لما كان في المدينة لقي عليه الصلاة والسلام من يهود المدينة أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٣] فما كان من النبي عليه الصلاة والسلام إلا مقابلتهم بالعفو والصفح، استجابة لأمر الله تعالى ورغبة في دخولهم في دين الله فيحصل الاجتماع والائتلاف.

المبحث الثاني: آثار الائتلاف وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: المحبة والود.

إذا ساد المجتمع الاجتماع والائتلاف فإنه يسوده المحبة والمودة، لأن الاجتماع والألفة تزيد المحبة والمودة بين الناس.

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن هاجر معه من المهاجرين، واجتمعوا بالأنصار في المدينة ساد المجتمع المحبة والمودة، ووصل بهم الحال من المحبة والمودة حتى آثر الأنصار على نفسهم ومالهم وكل ما يستطيعوا أن يسدوا حاجة المهاجرين ولو كانوا هم بحاجته، حتى وصل الحال بالأنصار أن يقترعوا على سكنى إخوانهم المهاجرين وآثروهم على أنفسهم فأثنى الله تعالى عليهم ثناء عظيماً خلّد ذكرهم وحسّن صنيعهم أبد الدهر، فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨ – ٩].

وما هذه المحبة إلا بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم.

ومن صور هذه المحبة ما ثبت من خبر سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف إذ عرض سعد عليه أن يقاسمه ماله وأن ينزل له عن إحدى زوجتيه، وقد أسكنوا المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخيلهم[1].

١ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس. سنة النشر: ١٩٨٤ ج. ٢٨. ص. ٩١.

ومن صور هذه المحبة أيضاً ما روي في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقطع من البحرين، فقالت الأنصار: حتى تقطع لإخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع لنا، قال: ((سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني))[1].

ومن صور المحبة أيضاً ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله؟)) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لقد عجب الله عز وجل – أو ضحك – من فلان وفلانة فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] [الحشر: ٩].

المطلب الثاني: القوة.

من أعظم الآثار التي بسبب الاجتماع والألفة قوة المسلمين وتمكنهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٢ – ٦٣]، فكانت نتيجة الألفة الاجتماع والقوة التي مكنَّت المؤمنين، فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿ مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣] لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى[3].

فالله –عز وجل– بيَّن في الآية سبب من أسباب النصر للمسلمين وهو تأييده للمسلمين بالتأليف بين قلوبهم، فبيَّن كيف كان تأييده بالمؤمنين فقال: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وظاهره العموم، وأن ائتلاف قلوب المؤمنين، هو من أسباب النصر التي أيد الله بها رسوله[4].

---

١ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ١٤٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ج. ٣. ص. ١١٤. برقم (٢٣٧٦).

٢ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ١٤٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ج. ٦. ص. ١٤٨. (٤٨٨٩).

٣ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٣٢٥.

٤ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). ١٤١٤. فتح القدير. ج. ٢. ص. ٣٦٨.

وهذا فضلٌ من الله تعالى، تآلفت قلوب المؤمنين، وعن طريقها توحدوا واجتمعوا وأصبحوا قوةً وانتصروا، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣] .. معطوف على قوله سبحانه: ﴿ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ أي إن من فضل الله عليك، ومن القوى التي أمدّك بها، أنه سبحانه أمدك بأسباب النصر والظفر على العدوّ، بما جمع لك من جند آمنوا بالله، وأخلصوا النية للجهاد في سبيل الله.. وأن الله سبحانه قد نظر إليك وإليهم، فألف بين قلوب جندك هؤلاء، وجمعهم على الإيمان بالله، والإخاء في الله، فكانوا كيانًا واحدًا، وجسدًا واحدًا، ومشاعر واحدة..

وذلك ما لا يكون إلا عن فضل من الله، وبهذا الفضل توحدت قلوب المؤمنين، واجتمعت على الولاء لله، ولدين الله، ولرسول الله.. الأمر الذي لا تستطيع قوة بشرية أن تحققه في أي مجتمع إنساني، على تلك الصورة، ولو أنفقت في سبيل ذلك كل ما في هذه الدنيا من مال ومتاع[1].

ولأنَّ منبع القوة والنصر في الإنسان هو القلب كانت الألفة من أهم الأسباب التي بها النصر والتمكين؛ حين تتآلف القلوب؛ فهذا أقوى رباط؛ لأن كل عمل يقوم به الإنسان إنما ينشأ عن عقيدة في القلب.

إن القلب هو مصدر النية التي يتبعها السلوك، فالذي يحرك إنساناً مَوْتوراً منك ويثير جوارحه ضدك، إنما هو القلب، فإن وجدت إنساناً يعبس في وجهك فافهم أن في قلبه شيئاً، وإن لقيته وحاول أن يضربك فافهم أن في قلبه شيئاً أكبر، وإن حاول أن يقتلك، يكون في قلبه شعورٌ أعمق بالبغض والكراهية.

إذن فالينبوع لكل المشاعر هو القلب. ولذلك نرى الإنسان يُضَحِّي بكل شيء وربما ضحَّى بحريته وبماله في سبيل ما آمن به واستقر في قلبه، ونحن نرى العلماء في معاملهم يعيشون سنوات طويلة ويحرمون أنفسهم من متع الحياة الدنيا لأن العلم قد تحول إلى عقيدة في قلوبهم سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك، فكأنما نية القلب وما يستقر فيها هي أقوى ما في الحياة[2].

١ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ). التفسير القرآني للقرآن. الناشر: دار الفكر العربي. القاهرة. ج. ٥. ص. ٦٥٢.

٢ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ). تفسير الشعراوي – الخواطر. الناشر: مطابع أخبار اليوم. ج. ٨. ص. ٤٧٨٦.

فكانت نتائج هذا النصر والتمكين لهذه الأمة أن وصل الإسلام لقارات العالم أجمع، وكان من أثر هذا التأليف واجتماع الكلمة أن فتحوا نصف العالم في مدة نصف قرن، وصاروا أئمة العالم في الهدى والعدل والعلم[1].

المطلب الثالث: التمكين والاستخلاف.

من الآثار العظيمة الجليلة التي تكون بسبب الألفة والاجتماع؛ التمكين والاستخلاف لأهل الإيمان قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢ – ٦٣] فكانت نتيجة الألفة والاجتماع القوة التي مكنَّت للمؤمنين، فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿ مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى[2].

فالله –عز وجل– بيَّن في الآية سبب من أسباب النصر للمسلمين وهو تأييده للمسلمين بالتأليف بين قلوبهم، فبيَّن كيف كان تأييده بالمؤمنين فقال:﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وظاهره العموم، وأن ائتلاف قلوب المؤمنين، هو من أسباب النصر التي أيد الله بها رسوله[3].

وهذا فضلٌ من الله تعالى، تآلفت قلوب المؤمنين، وعن طريقها توحدوا واجتمعوا وأصبحوا قوةً وانتصروا، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ معطوف على قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي إن من فضل الله عليك، ومن القوى التي أمدّك بها، أنه سبحانه أمدك بأسباب النصر والظفر على العدوّ، بما جمع لك من جند آمنوا بالله، وأخلصوا النية للجهاد في سبيل الله.. وأن

---

١ محمد رشيد رضا. ويل للعرب من شر قد اقترب. مجلة المنار. ج. ٣٣. ص. ٧٤٥.

٢ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠–٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٣٢٥.

٣ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). ١٤١٤. فتح القدير. ج. ٢. ص. ٣٦٨.

الله سبحانه قد نظر إليك وإليهم، فألف بين قلوب جندك هؤلاء، وجمعهم على الإيمان بالله، والإخاء في الله، فكانوا كياناً واحدًا، وجسدًا واحدًا، ومشاعر واحدة. وذلك ما لا يكون إلا عن فضل من الله، وبهذا الفضل توحدت قلوب المؤمنين، واجتمعت على الولاء لله، ولدين الله، ولرسول الله.. الأمر الذي لا تستطيع قوة بشرية أن تحققه في أي مجتمع إنساني، على تلك الصورة، ولو أنفقت في سبيل ذلك كل ما في هذه الدنيا من مال ومتاع[1].

فكانت نتائج هذا النصر والتمكين لهذه الأمة أن وصل الإسلام لقارات العالم أجمع، وكان من أثر هذا التأليف واجتماع الكلمة أن فتحوا نصف العالم في مدة نصف قرن، وصاروا أئمة العالم في الهدى والعدل والعلم[2].

١ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ). التفسير القرآني للقرآن. ج. ٥. ص. ٦٥٢.

٢ محمد رشيد رضا. ويل للعرب من شر قد اقترب. مجلة المنار. ج. ٣٣. ص. ٧٤٥.

النتائج:

قد نوقش في هذا البحث أسباب الائتلاف التي ذكرت في القرآن، والآثار التي تترتب على الائتلاف والاجتماع والتي ذكرت في القرآن.

واكتشفت الدراسة عدة أمور نستطيع أن نجملها في عدة نقاط:

١- أن من أعظم الأسباب للائتلاف والاجتماع هو عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، لأن تعدد المعبودات يؤدي إلى وجود الاختلاف وتعدد الجماعات.

٢- أن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام من أعظم أسباب الائتلاف والاجتماع كذلك.

٣- أن من أسباب الائتلاف والاجتماع التحاكم إلى الله ورسوله عند الاختلاف، وعدم التحاكم لغيرهما.

٤- أن الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة من أهم الأسباب الداعية للائتلاف والاجتماع، وأن للحكمة أحوال بحسب الداعي والمدعو.

٥- أن لا يُفهم من الحكمة في الدعوة أنها تعني الرفق، والحلم مع المدعو فحسب، بل تعني وضع الشيء في موضعه، فلو كانت الشدة والغلظة فيها مصلحة فهذا من الحكمة أيضاً.

٦- أن من أسباب الائتلاف والاجتماع، التبيّن والتثبت من الأخبار عند تلقيها أو نقلها.

٧- أن الإصلاح بين الناس من أسباب الائتلاف والاجتماع بين الناس، ولهذا حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان.

٨- أن من أسباب الائتلاف والاجتماع التي ذكرها الله تعالى في كتابه العفو والصفح عن المخطئ، وأنه قوة وشجاعة وليس بضعف، وأنه دليل على التقوى والإحسان.

٩- أن من آثار الائتلاف والاجتماع بين الناس، انتشار المحبة والمودة بينهم، وقوة الأمة الإسلامية ونصرها وتمكنها.

وقد حقق الباحث في هذا البحث الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، وهو معرفة أسباب الائتلاف التي ذكرت في القرآن، والآثار المترتبة على الائتلاف.

المراجع:

- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩-١٩٧٩.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ). ١٩٨٥. العين. المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). ١٤١٤. الطبعة: الثالثة. لسان العرب. بيروت: الناشر: دار صادر.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ه). ١٤١٢. المفردات في غريب القرآن. المحقق: صفوان عدنان الداودي. بيروت: الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). ١٤٠٣-١٩٨٣. التعريفات. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حازم خنفر. غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة. قدم له: علي بن حسن الحلبي. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع - ١٤٣٠-٢٠٠٩.
- محمد بن عبد الرحمن الخميس. ١٤٢٥-٢٠٠٤. شرح الرسالة التدمرية. الناشر: دار أطلس الخضراء.

- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ). ١٤١٨-١٩٩٧. المحصول. دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني. الطبعة: الثالثة. الناشر: مؤسسة الرسالة.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). ١٤٢٠-١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. المحقق: سامي بن محمد سلامة. الطبعة الثانية: الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). ١٤١٥-١٩٩٤. زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة: السابعة والعشرون. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). ١٤١٦-١٩٩٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الطبعة: الثالثة. الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت.
- محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ). الأمثال من الكتاب والسنة. المحقق: د. السيد الجميلي. الناشر: دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت – دمشق.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). ١٣٨٤-١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الطبعة: الثانية. الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). فتاوى نور على الدرب.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). ١٤٢٢-١٤٢٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع. الطبعة: الأولى. دار النشر: دار ابن الجوزي.
- محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ). ١٤٠٥-١٩٨٥. التيسير في أحاديث التفسير. الطبعة: الأولى. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ١٤٢٠-٢٠٠٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة.
- عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

- محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. ١٤٢٢-٢٠٠٢. المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس. الطبعة: السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤). الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). ١٤٢٠-٢٠٠٠. جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). ١٣٩٥-١٩٧٥. سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). الطبعة: الثانية. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). ١٤٢١-٢٠٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل. المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة: الأولى. الناشر: مؤسسة الرسالة.
- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). صحيح الجامع الصغير وزياداته. الناشر: المكتب الإسلامي.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. ١٤٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: الناشر: دار إحياء التراث العربي.

- محمد بن محمد المختار الشنقيطي. تفسير سورة النور. محاضرة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس. سنة النشر: ١٩٨٤.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). ١٤١٤. فتح القدير. الطبعة: الأولى. الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.
- عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ). التفسير القرآني للقرآن. الناشر: دار الفكر العربي. القاهرة.
- محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ). تفسير الشعراوي – الخواطر. الناشر: مطابع أخبار اليوم.